

المرتكزات الأساسية في فكر الجماعات المتطرفة (والرد عليها)

يعتمد فكر الجماعات الدينية المتطرفة على مجموعة من المرتكزات الأساسية التي تبدو -من وجهة نظرهم- أنها لا تقبل المناقشة، وبالتالي لا تعتبر مجالاً للمساومة. وهم يتمسكون بها على نحو قاطع، ويدافعون عنها حتى ولو اصطدمت بضرورات العقل، ومتطلبات التقدم. وأهم هذه المرتكزات:

١ - **الإسلام هو الحل**: وهذا الشعار يعنى رفض أى نظام سياسى مستورد من الشرق أو الغرب، كالاشرابية أو الرأسمالية، أو أى مذهب فلسفى أو فكرى كالوجودية، والوضعية المنطقية. ويستدلون على ذلك بأن كل هذه المذاهب والأنظمة قد ثبت إفلاسها، ليس فقط عندما حاول المسلمون تطبيقها، وإنما لدى أصحابها أنفسهم الذين أنشأوها^(٢١).

وللرد على ذلك يقال: إننا فى مصر على سبيل المثال -لانسئورد هذه المذاهب بالكامل، ونحلها محل الإسلام الذى هو عقيدة الأغلبية عندنا، وإنما نأخذ من كل منها بقدر، ولم يحدث أننا ألغينا الإسلام كدين وعقيدة وشعائر من حياتنا، سواء فى الفترة التى اتجهت فيها الدولة إلى الاشرابية، أو الرأسمالية (النسبية) التى تسير عليها الآن.

ومن حق المسلمين أن يستفيدوا من تجارب الشعوب الأخرى فى مجالات السياسية والإدارة والدفاع. وقد حدث هذا بالفعل أمام الرسول (ص)، وفى عهد الخلفاء الراشدين، وفى كل عصور التاريخ الإسلامى: أخذوا من الفرس، ومن الروم، وأبقوا على الأنظمة السابقة طالما كانت مفيدة لهم، وقد طوروها بعد ذلك وأضافوا إليها..

٢ - **الحاكمية لله**: وهذا شعار آخر، يعنى أن حكم البشر أيا كان نوعه ومستواه مرفوض أصلاً^(٢٢)، لكن من الذى يطبق هذا الحكم؟ وبأى

أسلوب؟ يجيبون بأنهم هم المقصودون بذلك، وأن الأسلوب يمكن أن يتضح من خلال التطبيق ذاته.

وللرد نقول: نعم الحكم والأمر لله. ولكنه استخلف الإنسان في الأرض لكي يدبر أمور معاشه بالطريقة التي تناسبه. وأعطى له العقل، ومنحه حرية الاختيار، وزوده بملكة التمييز بين النافع والضار.

ولم يحدثنا التاريخ كله عن (حاكم - ملاك) أى منزله تماماً عن الخطأ. والمسألة تتوقف على محاولة كل حاكم مسلم الاقتراب - بقدر الطاقة البشرية - من الحكم النموذجي الذي يتحقق فيه العدل والمساواة لجميع أفراد الشعب.

وأخيراً فإن الآية التي تشير إلى أن (الحكم لله) لا يقصد بها العمل السياسي، وإنما الميزان الذي توزن به أعمال البشر عندما يختلفون فيما بينهم.

٣- الخلافة الإسلامية، على منهاج النبوة: ورغم ما يبدو من استحالة تحقيق هذه الفكرة بعد ظهور القوميات، واستقرار حدود الدول، فإنهم يفترضون إقامة الخلافة أولاً في بلد إسلامي، ثم الإنطلاق منها إلى بقية البلاد الإسلامية الأخرى لإعادة فتحها وإخضاعها لمنهج الله - على حد تعبيرهم - تمهيداً لفتح بقية أنحاء العالم، حتى يعمه كل الحكم الإسلامي الخالص.

والفكرة هنا أقرب - من حيث الظاهر - إلى فكرة جمال الدين الأفغاني، عن الجامعة الإسلامية. ولكن المشكلة تكمن في منهج تحقيق الفكرة. فالأفغاني يعتمد على التوعية، وهؤلاء يسلكون طريق القوة المسلحة، ليس فقط مع الدول المخالفة، وإنما مع الدول الإسلامية نفسها.

وهذا فضلاً عن تعارض هذا المنهج مع اتجاه واضح جداً في القرآن الكريم للدعوة إلى الله بالرفق، والحسنى، والعمل الصالح، والقوة الطيبة..

٤- الجهاد: ويعنون به جهاد الكفار، والمقصود بهم لديهم: المشركون بالله، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين بلغتهم الدعوة ولم يستجيبوا، والمسلمون الذين يخلون بأي جزء من شريعة الإسلام، ويدخل فيهم الحكام الحاليون، والمجتمعات المنحرفة.

ويقوم هذا المبدأ -لديهم- على عدم فهم متكامل لمبدأ الجهاد الإسلامي في إطار الشريعة الإسلامية، ومتى يكون فرض عين، ومتى يكون فرض كفاية، ومتى يتوقف في ظل ظروف معينة - كالتى نعيشها الآن.

إن عصر الإعلام الذى نعيشه حالياً يجعل الجهاد بالكلمة أهم بكثير جداً من الجهاد بالسيف. ومن الواضح أن المسلمين، وهؤلاء المتطرفين بصفة خاصة، مقصرون جداً فى إبلاغ الإسلام عن طريق الإعلام بوسائله المتعددة، بل إنهم يضعون أنفسهم فى قلب الإعلام الدولى كجماعات خارجة عن القوانين المستقرة، ولاهدف لها إلا التدمير والعنف.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ويلاحظ أن الشق الأول يكاد يكون غائبا لديهم. أما النهي عن المنكر فعلى الرغم من تفصيل الرسول (ص) لدرجات تغييره: باليد، فاللسان، فالقلب -فإن التغيير باليد هو المقصود الأساسى عندهم، ويشمل استخدام القوة المسلحة.

وهذا دليل واضح على أنهم يقطعون من المبادئ الإسلامية الأجزاء التى تخدم هدفهم السياسى فى الوصول إلى غرضهم.

٦- طاعة أمير الجماعة: من طاعة الله، بل إنها فرض. وهو دائماً هادئ، ومهدى من الله. ولذلك لاينبغى الخروج عن حكمه أو عصيانه^(٣٣). وهذا يتناقض تماماً مع المبدأ القائل بأن كل شخص يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله (ص) - كما أنه يتنافى مع مبدأ عصمة الأنبياء وحدهم من الخطأ، ويبسط هذه العصمة على أفراد المسلمين، كما فعل الشيعة مع زعمائهم الروحانيين.

٧- وجوب العمل الجماعى: تأسيساً على قاعدة أصولية تقول "إن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" ولما كان تحقيق الخلافة الإسلامية يتطلب تضافر الجهود الفردية أصبح الانضمام إلى الجماعة واجباً، وكذلك الاستمرار فيها، والالتزام الكامل بتعاليمها.

صحيح أن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضها، والاتحاد بين المسلمين واجب، ولكن في أى اتجاه؟ في سبيل الإبقاء على كيان جماعة المسلمين، وعدم إلحاق الأذى بهم، أو ترويع الأمنين منهم.

تبقى بعد ذلك عدة نقاط أخرى، قد لا تكون موضع إجماع الجماعات المتطرفة كلها، ولكنها تعتبر بالنسبة لمن يعتنقها منهم ضرورة لل غاية، ومنها:

١- الهجرة من أرض الكفر: وهى عندهم: أى بلد لا تقيم أحكام الشريعة الإسلامية بالكامل، ثم العودة بعد الاستعداد.. لفتحها فتحاً إسلامياً جديداً.

وهذا إخراج للهجرة المعروفة فى الإسلام عن مدلولها المتعارف عليه، بل المجمع عليه من جمهور المسلمين، وهى هجرة الرسول (ص) من أرض الشرك والأوثان بمكة، إلى بلد آخر يمكنه أن يستقبل الدعوة بترحاب أكثر.

ثم إن المجتمعات الإسلامية المعاصرة لم تعد بعد دار كفر، وكل ما فيها بعض المخالفات أو التجاوزات التى يمكن تصحيحها، والتى هى موجودة فى كل بلد فى العالم قديماً وحديثاً.

٢- تحريم تعلم الكتابة إلا لضرورة، وكذلك طلب أى علم لا تحتاجه الجماعة. وكان من نتيجة ذلك الاقتصار على حفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم، والإمام فقط بأمر العبادات، بالإضافة إلى خطة تغيير المجتمع.

ومن الواضح أن هذا المبدأ يصطدم بأولى حقائق التقدم العلمى، وطلب المعرفة الغريزي فى طبيعة البشر. وتعتبر محاولة نشره وتطبيقه من أخطر ما يهدد كيان أى مجتمع نام، فضلاً عن أنه يتعارض تعارضاً صريحاً مع ملاحا إليه القرآن الكريم، وحث عليه الرسول (ص) من ضرورة طلب العلم، والاستفادة من نتائج المعرفة.

٣- الإمتناع عن الصلاة فى المساجد التى تشرف عليها الدولة، باعتبارها "مساجد ضرار" وبخاصة المساجد التى أقيمت على قبور أهل البيت، والأولياء. ولاشك أن للتأثر هنا واضح بالمذهب الوهابى تماماً.

والرد يتمثل أولاً في أن مساجد الدولة بمصر ليست مساجد ضرار، فقد بناها السلاطين والولاة والحكومات لأداء الشعائر، وقد قامت بدورها التعبدي والعلمي أيضاً خلال فترات التاريخ الطويل. ولا علاقة لها على الإطلاق بمسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة.

أما المساجد المقامة في مصر على قبور أهل البيت وأولياء الله الصالحين فهي قائمة منذ عصور طويلة، والمصريون يميزون دائماً بين ما هو شرعى أو غير شرعى فيها. فلم يحدث أن اتجهوا إلى أصحابها بالعبادة، أو التقديس، وإنما هم يتبركون بها، وهذا نوع من التدنيس العميق الذى يتميزون به بخلاف أهل نجد، الذين ظهر فيهم المذهب الوهابى فقد كانوا بدوا جهلاء، يحسبون أن الدين كله يتوقف على تقديس هذه الأماكن ذاتها.

٤- الامتناع عن الالتحاق بالجيش، بناء على مبدأ الفرار من العدو المحلى، تماماً مثل الفرار من العدو الوافد، إلى حين استكمال القوة والاستعداد لملاقاته.

وهنا مغالطة واضحة، بل وسوء تفكير واعتقاد، بل وخيانة للوطن الذى ينتمون إليه. وكيف يقوم يعتبرون جيش بلادهم مساوياً فى العداء لجيش عدو أجنبى..

٥- التحاق امرأة متزوجة بالجماعة يقضى بضرورة التفريق بينها وبين زوجها نظراً لاختلافهما حينئذ فى العقيدة. ومعنى ذلك الحكم بكفره. وهذا رأى قديم لم يقل به إلا طائفة من طوائف الخوارج، ولم يقبله أى فقيه مسلم فى القديم والحديث.